

## حمامات البصرة في القرن الاول الهجري

الإستاذ الدكتور/ شاكر مجيد كاظم  
رئيس قسم التاريخ/كلية الاداب/ جامعة البصرة

اهتم المؤرخين بذكر حمامات البصرة وكتبوا بعض المعلومات الخاصة بها وعنوا بذكر احوالها وشملت تلك المعلومات الحديث عن اقدم تلك الحمامات كما اشاروا الى اصحابها كما حدد اولئك المؤرخين مواقع تلك الحمامات .

وتحتل الحمامات اهمية كبيرة في البصرة وقد تم بناء عدد منها منذ البدايات الاولى لتأسيسها ونظراً لاهميتها فقد ذكر ابن سعد ان اقامة الحمامات بالبصرة لم يكن مسموحاً به الا بأذن من الخليفة .

الطبقات الكبرى ، ٧ / ١٢٤

وروى البلاذري عن المدائني ان الحمامات في البصرة لم تكن تبني الا بأذن والي البصرة .  
البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٤٨ .

ولكنه لم يبين لنا الاسباب والدوافع التي كانت وراء ذلك الشرط بأن يكون بناء الحمامات مقترناً بموافقة ولاة البصرة؟؟

ولكننا نرجح اسباب ذلك تعود الى حرص والي البصرة على الحفاظ على الاجواء الصحية بالمدينة وعلى جماليتها وذلك لحمايتها من تلك الحمامات لما تنتجه من ابخرة وغازات من جراء تسخين المياه بالاشباب وما شابه ذلك . وما ينتج عن تلك الحمامات من المياه الاسنة والغير صحية وضرورة صرفها بشكل صحيح كأن تكون في الانهار او الجداول وليس في داخل اروقة المدينة لما لها من آثار سلبية على صحة الانسان وهذا يدفعنا الى الاعتقاد بأن تلك الحمامات كانت تبني في محيط المدينة وليس في مركزها وذلك للاسباب الأنفة الذكر حتى لا تؤثر على صحة الانسان وكذلك عدم تلوث المدينة والحفاظ على بيئتها الصحية ونستطيع ان ندعم رأينا هذا بالامر الذي اتخذه زياد بن ابيه حيث كان يمنع اقامة الحمامات الا في الاماكن التي لا تضر بأحد .

صالح احمد العلي ، خطط البصرة ، ص ١٣١ .

ومن خلال دراستنا لكتاب فتوح البلدان وجدنا انه ذكر ( ١٤ ) اربعة عشر حماماً بالبصرة  
وكان عددها في البدايات الاولى لتأسيسها (٣) ثلاثة وهي :-

١- حمام عبد الله بن عثمان بن ابي العاص الثقفي وهو اول حمام اتخذ بالبصرة يقع في بستان  
معاوية بن ابي سفيان الذي بالخريبه وعند قصر عيسى بن جعفر .  
البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨

٢- ثم حمام فيل الذي كان حاجب زياد بن ابيه ومولاه وهو ثان حمام بالبصرة وقد ورد ذكره في  
الشعر العربي ، قال ابو مفرغ لطلحة الطاحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف :-

تمنيني طليحة الف الف	لقد منيتني املاً بعيداً
فلمست لما جد حر ولكن	لسمراء التي تلد العبيدا
ولو ادخلت في حمام فيل	والبست المطارف والبرودا

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٩٩/٢

وكان اهل البصرة يضربون المثل بحمام فيل ، وركب فيل يوماً ومعه ابو الاسود الدؤلي  
وكان فيل على برذون هملاج فقال :-  
لعمر ابيك ما حمام كسرى  
على الثلثين من حمام فيل

فقال ابو الاسود :-  
ولا ارقاصنا خلف الموالي  
بسنتنا على عهد الرسول

ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٩٩/٢ .

٣- اما الحمام الثالث فكان حمام مسلم بن ابي بكره في بلاالباد وهو الذي صار لعمر بن مسلم  
الباهلي (فمكثت بالبصرة دهوراً وليس بها الا هذه الحمامات ) .

ثم بعد ذلك بدأت الحمامات تكثر في البصرة بعد ان حصلت على الموافقة ببناءها من والي البصرة . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ ، فتم بناء حمام عبيد الله بن ابي بكره وحمام الحكم بن ابي العاصي ، وحمام سياه الاسواري وحمام الحصين بن ابي الحر العنبري ، وحمام منجاب ينسب الى المنجاب بن راشد الضبي الذي قال بعضهم وقد حضرته الوفاة :

يارب قائلة يوماً وقد لغبت كيف الطريق الى حمام منجاب

البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٩ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٩٩/٢ .

وحمام بلج ينسب الى بلج بن نشبة وقيل كنية السعدي التميمي الذي يقول له زياد :- ومحترس من مثله وهو حارس .

البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٩ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٤٧٩ .

وحمام عمرو الذي ورد في شعر عباس مولى بني اسامة . اذا انشد قائلاً :-

ذكرت البند في حمام عمرو فلم ابرح الى بعد العشاء

البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٩ .

وحمام حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان وقد مرّ به عبيد الله بن زياد يوم نعي يزيد بن معاوية فهدمه . البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٩ لكن البلاذري لم يوضح اسباب التهديم ويبدو انه كان حزناً على وفاة رب نعمته ويبدو ان خبر النعي اليه قد وصله وهو عند حمام حمران فأنزل نار غضبه عليه وامر بتهديمه ولكن ما ذنب صاحبه بأن يتحمل تلك الخسارة في ماله وفي الارباح التي كان يحصل عليها من ذلك الحمام .

ويوجد في البصرة حماماً يعرف بأسم حمام الامراء حيث جاء انه من المظاهر الحضارية في رحبة بني هاشم حمام الامراء . ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٧٤ .

ويبدو ان هذا الحمام تم بناءه في وقت متأخر من قيام الدولة الاموية لان البلاذري قال انه بعد ان تم بناء الحمامات الثلاثة - حمام عبد الله بن عثمان ، وحمام فيل وحمام مسلم بن ابي بكره - في البصرة بقت دهرأ وليس فيها الا هذه الحمامات الثلاثة .

البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ .

اما عن موقع حمام الامراء فقد ذكر وكيع عند ترجمته الى ابي مريم الحنفي انه كان اول من قضى بالبصرة وله في البصرة اربع خطط احدهن في قبلة المسجد الجامع وهي تجاه حمام دار الامارة وتشرع على الطريق الذي في ظهرها .  
وكيع ، كتاب القضاة ، ص ١٧٥ .

ولا نستبعد في انه قصد بذلك حمام الامراء وحسب النص اعلاه فأنها تقع في الجهة الغربية من المسجد الجامع في البصرة .

كما ترد اشارات الى حمام الامير في خبر اورده صاحب كتاب مقاتل الطالبين حيث قال في ذكر اخبار احد الاشخاص في البصرة ويسمى مطر قال انه صاحب الحمام ثم عزز رأيه برواية نقلها عن المدائني قال فيها :- انما سمي صاحب الحمام لانه كان على حمام الامير بالبصرة .  
ابو فرج الاصفهاني ، تحقيق السيد احمد صقر ، مقاتل الطالبين ، ص ١٨٢ .

واذن سليمان بن عبد الملك لتويه الشاعر ان يبني حماماً في البصرة فبناه الى جانب منزله في بني عنبر الرابيه .  
ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١٢٤/٧ .

وحمام افرادان في قنطرة قره .  
الجاحظ ، البرصان والعرجان ، ص ٢٦١ .  
واشار بشار بن برد الى حمام في البصرة كان في بني يشكر . صالح احمد العلي . خطط البصرة .  
صالح احمد العلي ، خطط البصرة ، ص ١٣٢

ومما هو جدير بالذكر ان بناء الحمامات في البصرة لم ينفرد به الرجال فقط بل كان للمرأة البصرية دوراً في ذلك ايضاً واطلاق اسماءهن على تلك الحمامات اذ عثرنا على ثلاثة حمام وهي :-  
حمام ريطة بنت زياد بن ابيه ، وحمام لبابه بنت اوفى الجرشي التي اذن لها في بناء حمامين احدهما في اصحاب القباء والآخر في بني سعد .  
البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٨

لقد كانت حمامات البصرة تدر ارباحاً طائلة على اصحابها ودون البلاذري مذاكرة جرت بين ابي بكره وابنه مسلم وقد طلب منه اذا ما اخبره بسر فعليه كتمانته حتى عن اخوانه قال فأني افعل ، فأخبره انه يحصل ارباحاً من حمامه في كل يوم الف درهم اضافة الى الطعام الذي نعته بأنه كثير وفي رواية اخرى انها تدر عليه في كل جمعة الف درهم وكري حنطة ، البلاذري ، انساب الاشراف ، ١٤٨/٢ ، ثم ان مسلماً مرض فأوصى الى اخيه عبد الرحمن بن ابي بكره واخبره بأرباح حمامه فأفشى ذلك فكان ذلك سبباً بأسراع الناس الى بناء الحمامات بالبصرة حيث كثرة الطلبات التي كانت تقدم الى والي البصرة وقد حصلت الموافقة عليها . البلاذري ، فتوح البلدان ، ٣٤٨ .

ويبدو لي ان الرقم الذي ذكره البلاذري بشأن الايراد اليومي لحمام مسلمه بن ابي بكره والبالغ الف درهم يومياً او في كل جمعة فيه مبالغة ولكنه يدل على كثرة الارباح التي كان يحصل عليها صاحب الحمام آنذاك

كما ان اهتمام اهل البصرة منذ القدم بالحمامات يعكس اهتمامهم بالجانب الصحي ويوضح مدى انتشاره بينهم ، وشدة حرصهم على النظافة كما انه يبين اهتمام السلطة الادارية بالبصرة على النظافة ورعايتها ومتابعتها لهذا الجانب وهذا ينعكس من خلال عدم السماح ببناء الحمامات الا بعد موافقة والي البصرة .

ان النصوص التي اشرنا اليها من اذن الخليفة او الوالي ببناء الحمامات في البصرة تدل على ان ذلك كان في زمن الامويين وانه لم يستمر في العصر العباسي غير انه لا يوجد معلومات عن الحمامات في العصر العباسي .

صالح احمد العلي ، خطط البصرة ، ص ١٣٢

## المصادر والمرجع

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م

- انساب الاشراف ، تحقيق سهيل زكار ، رياض زركلي ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦ .
- فتوح البلدان ، عني بمراجعته رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ .

الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ

- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق محمد مرسي الخولي / ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢ .

السامرائي ، ابراهيم

- اشنتات بصرية ، منشور ضمن كتاب ماسينيون ، خطط البصرة وبغداد ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ت ٢٣٠ هـ

- الطبقات الكبرى ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦ .

العلي ، صالح احمد

- خطط البصرة ، ط ١ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٦ .

ابن الفقيه ، ابي بكر احمد بن محمد

- مختصر كتاب البلدان ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨ .

وكيع ، محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦ هـ

- اخبار القضاة ، مراجعة سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠٠١ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م

- معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩

